التغطية الصحفية للازمات

بحث مستل من أطروحة دكتوراه

د . ظمياء حسين غضيب الربيعي

مقدمة

يعد الإعلام احد العوامل الرئيسة والفاعلة، وأداة من أدوات تجهيزات إدارة الأزمات، فالإعلام احد أسلحة العصر الحديث وأشدها خطورة وفاعلية وحسما في الصراعات الدولية، وأداة لصنع الأحداث والتأثير على مجرياتها واتجاهاتها كوسيلة لنقل أخبارها، وذلك لما يتوفر للإعلام من قدرات هائلة تساعد على انتقاله بسرعة كبيرة، واجتيازه للحدود، وتخطي العوائق، عبر العديد من الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية، ولما له من قدرة على التأثير النفسي على الأفراد والسيطرة الفكرية على المجتمعات، وتوجيه السلوكيات، ومن ثم استخدام الإعلام بذكاء في إدارة الأزمات وتغطيتها.

ووجدت الأزمات مع وجود الإنسان على الأرض، وجاء حدوثها مواكبا لتلك الأنشطة المختلفة التي مارسها على هذا الكوكب، فعلى المستوى الفردي تشكل بعض الأزمات خطرا بالغا على حياة الإنسان وممتلكاته.

أما على مستوى الدولة فقد تؤدي الأزمات إلى حدوث آثار واضحة، فهي إلى جانب زيادة أعبائها ومسؤولياتها قد تؤدي إلى إحداث تغيير جذري في الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بما يهدد كيانها أو يعرضها لتبعات تخرج عن نطاق تحملها وحدود إمكانياتها، لذا أصبح موضوع الأزمات بشتى أنواعها من ابرز الموضوعات التي يهتم بها الباحثين، لاسيما بتنوع الأزمات وازدياد مخاطرها.. وأصبحت كل الدول بلا استثناء عرضة لان تكون مسرحا لوقوع أي نوع من أنواع الأزمات.

فالأزمات أصبحت جزء لا يتجزأ من نسيج الحياة المعاصرة.. الأمر الذي يدفع إلى الاهتمام بسلم إدارة الأزمات.

على الرغم من أن إعلام الأزمات يعد أحد المجالات البحثية التي نالت اهتمام الباحثين والمتخصصين الإعلاميين في الجامعات ومراكز البحث الأوروبية والأمريكية منذ أكثر من أربعة عقود من الزمن وتبلورت مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية إلا أن الدراسات العربية في مجال علاقة الإعلام بالأزمات السياسية والأحداث الأمنية لم تظهر بشكل ملحوظ إلا بعد عقد الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي [١] وحتى بعد ظهور هذا النوع من الدراسات الإعلامية المتخصصة فإن ما هو موجود منها إنما يمثل بدايات تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة من ناحية والربط بين مجالاتها النظرية والتطبيقية من ناحية أخرى [٢] وما هو موجود في الواقع إنما هو امتداد طبيعي لما هو سائد في نظريات ونماذج التأثير الإعلامي [٣] التي سبقت هذا النوع من الدراسات المتخصصة .

جوانب تأثير الأزمات

يتم هذا التأثير عن طريق جانبين هما[٤]:

الجانب الأول: (الايجابي): عن طريق استخدام الحملات الإعلامية المكثفة ونقل كميات وجرعات متفاوتة ومتزايدة من الأخبار والمعلومات إلى جمهور الأزمة، ورسمها بشكل معين بحيث تغطي انطباعا معينا مستهدفا لديهم.

الجانب الثاني (السلبي): عن طريق التعتيم الإعلامي القائم على التجاهل التام للأخبار والمعلومات وعدم إعلام جمهور الأزمة بها، بهدف عدم تكوين انطباع عنها، ويتم هذا التجاهل على شكلين أو صورتين هما:

أ- تجاهل وتعتيم إعلامي كلي وشامل: إذ يتم عزل جمهور الأزمة والمهتمين بها عن أحداثها عزلا تاما وتجهيلهم بشكل تام عنها، وعن تصوراتها، ومن ثم عدم تمكنهم من تكوين رأي أو انطباع عنها، ومن ثم عدم حصول أي سلوك ايجابي لديهم بشأنها.

ب- تجاهل وتعتيم إعلامي جزئي: ويتم عن طريق الاهتمام بأحد أطراف الأزمة وتجاهل الطرف الآخر أو التركيز على هذا الطرف وصياغة الأخبار عنه بشكل معين مع التعتيم والتمويه والتجاهل للطرف الآخر، ويطلق على هذا النوع من التغطية الإخبارية للازمة بالتشويه الإعلامي، الذي يتم عن طريق صياغة الأحداث وإعادة ترتيب الوقائع وانتقاء الحوادث التي تصاغ أخبارها بالشكل والمضمون الذي يعمل على تأكيد وجهة نظر معينة بذاتها ونفي وجهات النظر الأخرى، أو إثارة الشكوك حول مصداقيتها وحقيقتها.

ولكي تكون للتغطية الصحفية للازمة دورا فعالا يجب أن تبنى على الحقائق، وان يتفاعل الصحفي مع المناخ المحيط بالأزمة، وان يكون دقيقا في نقل المعلومات والأحداث، حتى يكتسب مصداقية المعايشة الإخبارية للازمة بكل أبعادها.

وفي مجال أو أوقات الأزمات وخاصة الحروب أصبحت وسائل الإعلام تؤدي أدوارا مركبة تتجاوز مسالة الأخبار وتزويد الجمهور بالمعلومات فهناك ادوار أخرى منها ما هو دعائي، ومنها ما هو دبلوماسي ومنها ما يعرف بالدور القتالي أو ما اصطلح على تسميته بالحرب الإعلامية.

ومن منظور إعلامي ، فان هناك اطر صحفية لضبط التغطية الإخبارية في أوقات الأزمات والحروب ، تسمح للصحفيين العمل مع كم هائل من المعلومات بشكل سريع ، تحديد موضع المعلومات في مكانها المناسب في مخطط القصة وتجهيزها للجمهور في شكل يمكن معرفة الموضع المناسب للمعلومة في الموضوع[٥] .

إن عملية تشكيل الأطر تحتوي على التضمين والإقصاء ويشرح انتمان (entman) ١٩٩١ خصائص التضمين والإقصاء في تشكيل الأطر عن طريق التأكيد على أن الأطر ذاتها تختار وتستدعي انتباهاً لجوانب معينة من الحقيقة التي يتم مناقشتها ، وهذا بشكل منطقي يعني أن الأطر ذاتها الآن توجه الانتباه بعيدا عن الجوانب الأخرى التي يراد استقصاؤها [٦] . وهذا أشبه بإطار النافذة والمشهد الذي يمكن رؤيته من خلالها .

حيث أن المطلوب من الجمهور هنا استيعاب (الحقيقة) وأولئك الذين يخلقون رسالة ما ، هم القادرون على استيعاب الحقيقة ، وضع القرار فيما يتم توفيره من معلومات ، وما يتم استبعاده .

وان الإطار الذي يوضع فيه خبر حدث ما يؤثر إلى حد كبير في إدراك العامة لهذا الحدث . ويؤمن كل من (تيورسكاي tuersky) و(كانيمان kahneman) (١٩٨٢) في أن الأشخاص يغيروا أفضلياتهم في حال أن مشكلة ما وضعت في اطر مختلفة[٧]. ويرى كروزنيك (krosnick) والوين (alwin)(١٩٨٨) ان طرق تاطير (صياغة) الأسئلة تؤثر في استجابات الاشخاص في استبيانات السلوك والرأي العام[٨] . وذكر كل من (روثمان rothman و سالوفيي salovey وانطون antone ، وكيوف keough ومارتنmartin) (١٩٩٣) [٩] أن تأثير تشكيل الأطر لا ينحصر على الرأي العام فحسب بل يتعداه ليشمل جوانب أخرى كالسلوك الفردي .

وفي التغطية الإعلامية عادة ما يتم التركيز على المصادر الرسمية في نقل الأحداث خصوصا إذا ما تعلق الأمر بالصراعات الدولية ، في حين أن الآراء التي تتناقض ورأي السلطة نادراً ما يتم التعبير عنها ، وفي هذا يكتب ميلر (١٩٨٢) : إن الإعلام عاكس دونما نقد للرأي الرسمي ، أما وصف الصراعات وأولئك المشتركين فيها فيعد سمة أخرى مهمة للتغطية الصحفية، ويستخدم الإعلام في أوقات الأزمات والحروب تصنيفات معينة لوصف الأشخاص والأحداث غالباً ما تقود إلى الآراء المقولبة والجاهزة التي تنتج عن التكرار في المفردات ، مثل استخدام مصطلح ((الإرهابي)) و ((الإرهاب)) يوجدان عادة في أعلى قائمة تصنيفات الصحف والمجلات الأميركية عند إشارتها لصراعات معينة وأشخاص معينين لاسيما إذا كانوا مسلمين .

وتم استخدام وسائل الإعلام حديثا بشكل متطور في صناعة الحروب، عن طريق خلق الذرائع وتركيب الواقع، والتضليل الإعلامي، وحجب المعلومات، أو امتصاصها إلى جانب الفعل الدعائي في بناء صورة وردية ايجابية للذات، وأخرى سوداوية مصنعة للعدو.

وتركز بعض الدراسات الإعلامية على تحليل المراحل التي تمر بها التغطية الصحفية للازمات وهذه المراحل تتلخص في:

١.مرحلة التغطية العشوائية: وهي المرحلة التي تكون فيها الوسيلة الإعلامية لم تصل بعد إلى مستوى التنسيق المتكامل والسبب هو أن الأزمة ما تزال في مراحلها الأولى.

٢.مرحلة التعبئة المنظمة: وتأتي هذه المرحلة بعد أن تعرف وسائل الإعلام أهمية الأزمة تقوم بتوجيه مجموعة من الفنيين والصحفيين إلى موقع الحدث للعمل على بث الأخبار أولاً بأول والتعليق عليها وتصل التغطية الصحفية فيها إلى أعلى درجات التنسيق المنظم.

٣.مرحلة التكيف مع واقع ما بعد الأزمة: وفيها تضع وسائل الإعلام إستراتيجية جديدة تتناسب مع ما آلت إليه الأمور في مجتمع الأزمة، وتعمل على المشاركة ببلورة المفاهيم الجديدة للمتغيرات وتقريبها إلى الرأي العام ومساعدته على تقييمها.

لكن جميع هذه المراحل ترافقها إشكاليات في التغطية الصحفية أبان الأزمات تكون على خط العلاقة المتبادلة بين المسؤولية ورجال الإعلام وتتمثل هذه الإشكالية في نقطتين[١٠] هما:

أ- في أوقات الأزمات تزداد رقابة الحكومات أو الجهات ذات العلاقة على مصادر الأخبار والمعلومات، وهو أمر وقضية جدلية قديمة حديثة، لم يتمكن الإعلام من تجاوزها.

ب- وقوع الصحفيين من حيث لا يشعرون في شرك الدعاية المنحازة لأحد أطراف الصراع المتنازع ليجدوا أنفسهم مستخدمين كوسيلة دعائية لهذا الطرف أو ذاك.

ويشير د. محمود شريف[١١] على ضرورة أن يكون الإعلام وسيلة للتصدي للشائعات عند تغطية الصراعات مبينا أنواع الأزمات التي تنشا نتيجة لسوء الإدارة وتؤدي إلى حصول حدث إعلامي.
وفي التغطية الصحفية للازمات لابد من معرفة طبيعة النظام السياسي الذي حدثت فيه الأزمة وطبيعة الجماهير المتلقية للمساعدة في حل الأزمة مع الأجهزة الأخرى المعنية.
ولابد للإعلام بوسائله كافة الالتفات إلى أهمية التعامل بشكل سليم مع ايجابيات وسلبيات الأزمة، والاهتمام بالكفاءة العالية للمحررين والمراسلين المتصدين لتغطية أخبار الأزمات والحروب والصراعات باعتبارهم حلقة وصل واتصال بين الجماهير وصانعي القرار السياسي لاسيما في أوقات الأزمات.
فضلا عن أهمية عامل السرعة في التغطية الصحفية عند التعامل مع أزمة ما ومواجهتها، وكسب ثقة الجماهير داخليا وخارجيا لحل الأزمات والصراعات، كجزء من المسؤولية الاجتماعية الملقاة على الصحفي في إدارة الصراع والنجاح في القضاء على المشكلات فالإعلامي لم يتواجد لإشعال النيران وإنما إخمادها.
وبحسب الدكتور محمود شريف فان أساليب الكتابة الصحفية عند تغطية الصراعات والأزمات تتلخص في أهمية متابعة الحدث باستمرار والاعتماد على ثلاثة أشخاص في الصحفية وهم المندوب والمراسل الخارجي المقيم أو المراسل الخارجي المتداول. فالمراسل المقيم يعد أفضل من المتداول لما يتمتع به من علاقات واسعة يستطيع من خلالها اقتناص الخبر[١٢].
وانجح الصحف في تغطية الأزمات هي تلك التي يكون لديها عدد كبير من المراسلين في البلاد الأجنبية والعربية، تستطيع توظيفهم في تغطية شتى أنواع الأحداث أثناء تغطية الحروب أو الصراعات. فالتغطية الصحفية للحروب والأزمات تتطلب الدقة العالية من قبل وسائل الإعلام وضرورة التحقق من المعلومات التي ترد إلى الصحفية من مصادره الحكومية أو من قبل احد أطراف الأزمة أو الصراع أو من مصادره السرية الخاصة.
ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما ذكرته هالين Hallin(١٣) بشان التحقيقات التي أجريت حول التغطية الصحفية الأمريكية لحرب فيتنام «فحالة الحرب الفيتنامية توضح أن دعم وسائل الإعلام لسياسات الحكومة أو انتقادهم لها يتوقف على مدى ما تحظى به هذه السياسيات من إجماع، خاصة في إطار المؤسسة السياسية».
وترى هالين انه بالرغم من المحتوى الصحفي «ربما لا يعكس الحقيقة» إلا أن المؤسسات الإعلامية تعكس بالفعل نمط الجدل السياسي السائد: فعندما يكون الاجتماع قويا، فإنها غالبا ما تبقى في إطار حدود النقاش السياسي الذي يحدده هذا الإجماع، وعندما ينهار الإجماع، تصبح التغطية الإعلامية أكثر ميلا لتوجيه الانتقادات وتصبح وجهات النظر التي تقدمها أكثر تنوعا واختلافا ويجد المسؤولون صعوبة اكبر في السيطرة عليها.
من جهة أخرى، ليس معروفا بدرجة كافية إلى أي مدى تقوم المصادر الرسمية بتسريب معلومات مهمة إلى الصحفيين بحجة السرية ودون الإفصاح عن مصدرها أو الاشتراط بعدم ذكر اسمه والتي تعد تصريحات (غير رسمية).
إن الصور التي تنقلها وسائل الإعلام يوميا حول شعورنا بالذات الجماعية (نحن) وصورة الآخرين

(هم) ومنح الانطباعات باتجاه كل مكون باتجاه الآخر. كل ذلك يمكن أن يكون له تأثير عنيف ومهلك خاصة في أوقات الأزمات التي قد تفضي إلى نشوب حرب. وعندما تحدث أزمة يتم إعادة إذكاء الروح الوطنية عن طريق خطاب وسائل الإعلام. وكثيرا ما تصور الصحف العدو أو (الآخر) في صورة عنصرية وذلك باستخدام لغة تثير لدى المواطنين الشعور بالعزة الوطنية. والكرامة والواجب وتحثهم على إظهار الولاء والإخلاص للوطن. وهناك العديد من الدراسات التي تناولت حرب فيتنام. توضح كيف تخلت وسائل الإعلام عن مبدأ (الموضوعية) Objectivity في أحيان كثيرة لصالح اتخاذ موقف وطني في التغطية الصحفية للحرب. فهناك مثلا تقابل بين الأسلوب الذي تصف به الصحافة سلوك الجيش الوطني وسلوك جيش العدو. [فالهجوم الذي يقوم به جيشنا هو هجوم سلمي. أو من اجل تحقيق السلام. اما العدو البدائي الوحشي فانه يشن هجوما بربريا. وينبغي علينا العمل لوقف هذا الهجوم وإزالة آثاره].

يقول الصحفي فيليب نايتلي Philip Knightley (١٩٨٢: ٣٥٤) إن العنصرية في مثل هذا الوقت تصبح من الفضائل الوطنية- وكل الفيتناميين قد أصبحوا أوغادا أو قاذورات أو منحرفين. والفيتنامي الجيد الوحيد هو الفيتنامي الميت.

ويتذكر الصحفي جيمس كاميرون Games Cameron الوقت الذي قضاه في فيتنام ينقل أخبار الصراع. فيقول: إن المبادئ العنصرية كانت بارزة بشكل قوي في ذلك الوقت[١٣].

التحيز والموضوعية في تغطية الأزمات:

أكدت دراسات عدة توصل إليها مجموعة من الباحثين أمثال شميد Schmid عام ١٩٨٢ وريتشارد كلاتربوك Clutterbuck عام ١٩٨٣ وجبرائيل وايمان Weiman عام ١٩٨٣ أيضاً. وروبرت بيكارد Picard في عام ١٩٩٣. والتي أثبتت أن الموضوعية قيمة صعبة التطبيق على التغطية الصحفية لأحداث العنف السياسي في أوقات الأزمات. بسبب طبيعة بنية الاتصال لهذه الأحداث. والتي تنتج التحيز وإغفال الكثير من المعلومات عن القارئ.

إن سمة التوازن غالبا ما تضيع في تغطية أخبار العنف. الناجمة في اغلب الأحيان عن الأزمات. إذ إن الصحفيين في الدول المتقدمة والنامية يجدون ويلاقون صعوبة كبيرة في الاتصال بغير المصادر الرسمية التي يستقون الأبناء وتطورات الأحداث منها. وإلا تعرضوا للنقد أو تحذير لمسؤولين الحكوميين من تكرار فعل أو نقل رؤية أخرى للأحداث[١٤]. وهذا ما حدث في تغطية أزمة الحوثيين في اليمن. أو قامت الحكومة اليمنية بإغلاق مكتب قناة الجزيرة ومصادره جهاز الإرسال والبث فيها. اذ من الصعب في أوقات الصراع والأزمات لاسيما الحروب لقاء الصحفيين بطرفي النزاع وتكون وسائل الإعلام اقرب إلى الطرف الحكومي المنفذ في إيصال صوته إلى هذه الوسائل وعقد المؤتمرات الصحفية.

في الوقت ذاته نجد أن الصحف الموالية للنظام السياسي القائمة فيه أحداث العنف لا تذكر شيئا عن العنف المضاد. وفي المقابل ينتهج هذا النظام السياسي أعمالا أكثر عنفا ضد الخارجين عن سلطته أو المقاومين له والمعترضين على حكمه كلما تأكد من عدم تعرضه للنقد في وسائل الإعلام.

ويجب التنبه إلى أن أحداث العنف السياسي لا تقع في فراغ. فأحداث العنف الناجمة عن أزمات

لا تنفصل عن سياقاتها الاجتماعية والمؤسسية التي تنظم الأطر التي تتشكل فيها الرسائل الاتصالية التي تنتقل أثناء أوقات الأزمات وبعدها. لذا فان دراسة هذه الرسائل وأنواعها وتأثيرها في إضعاف أو تقوية البنى المؤسسية التي تحدث فيها، وكذلك علاقة وسائل الإعلام بهذه المؤسسات، والرسائل التي تتبادلها معها يعد أمرا مهما في فهم ديناميكية أحداث العنف السياسي، ودور وسائل الإعلام فيها[15].

ويتخذ السياق الاجتماعي- المؤسسي الذي يحدث في إطاره أكثر من شكل فأحيانا ترفض جماعات العنف السياسي بعض المؤسسات والعلاقات الاجتماعية، وتحاول إعادة التوازن الاجتماعي بتغيير نمط السيطرة على بعض المؤسسات كالعنف الذي تنتهجه أقلية (بورتوريكو) في الولايات المتحدة الأمريكية وقد يأتي العنف من السلطة كي تحافظ على الأوضاع القائمة وتوزيع القوة داخلها، ومثال ذلك ما فعلته الحكومة الفرنسية لتقليل المعارضة للتجارب النووية في جنوب المحيط الهادي بتفجير سفينة جماعة (السلام الأخضر)، وينطبق ذلك على الدول التي تتخلص من معارضيها في الخارج، في حالة هذه الدراسة فان العنف الذي تعرض له الحوثيون في شمال مدينة صعدة اليمنية جاء من جهتين داخلية وخارجية (حكومية- داخلية) أي من الداخل اليمني ممثلا بالحكومة وخارجي- من قبل الحكومة السعودية كدولة مجاورة لليمن ومحاذية لمواقع تمترس الحوثيين. بهدف سناتي على ذكره في الفصل الخاص بالحوثيين وأزمتهم بشكل تفصيلي[16] وتتعرض وسائل الإعلام- كمؤسسة اجتماعية- للقوى نفسها التي تؤثر في المؤسسات الأخرى، ولذلك فإنها تعمل على أن تبقى قيمها ومعاييرها متوائمة مع قيم ومعايير المجتمع الذي تعمل فيه، ويذهب هربرت التشول Altchal إلى أن وسائل الإعلام تعمل كسند للقوى الاقتصادية والاجتماعية التي توجد في البيئة التي تبث فيها رسائلها، لذلك فهي تستبعد بانتظام القيم التي تتصارع مع تلك السائدة في المجتمع والتي تعد شاذة أو غريبة عليه[17].

ويرى نيل ليفنجستون Livingstone تفسيرا إعلاميا للعلاقة بين التغطية الإخبارية والعنف، مفاده أن استبعاد بعض القيم غير السائدة في المجتمع، والتي تتبناها بعض القوى أو الجماعات من اهتمامات وأولويات وسائل الإعلام يكون متسقا مع الاستبعاد السياسي والمؤسسي (الحزبي) لها، مما يدفعها إلى العنف[18] ففي ضوء عدم قدرة الجماعات ذات الصلة بأحداث العنف والأزمة على إيصال رسائلها التي تحمل أطروحاتها الإيديولوجية في السياسة والثقافة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية... الخ، عبر وسائل الإعلام التقليدية فأنهم بالقيام بأحداث العنف السياسي والعسكري وتغطية وسائل الإعلام لها، يستطيعون توصيل وجودهم وأفكارهم للرأي العام بحسب رؤية ليفنجستون.

وهنا لابد من تسليط الضوء على شكل البناء الاتصالي لدى تغطية الأزمات السياسية وأحداث العنف السياسي فهذا النوع من الاتصال يحدث أثناء وقوع هذه الأحداث في كل أحوالها أن كانت صغيرة أو كبيرة، ويقع الاتصال هنا بين مرتكبي أحداث العنف ومؤيديهم، بين مسؤولي الحكومة.. بين الضحايا وذويهم، وبين وسائل الإعلام والجمهور، وتربط عملية الاتصال بين الأفراد والمؤسسات بشكل يحفظ تماسك المجتمع وبقاء قيمه ومعاييره، ونتيجة لذلك فان مدخل تحليل النظم يفيد بيان دور الاتصال في المجتمع بالتطبيق على أحداث العنف السياسي، وفي تحديد موقع ووظيفة

وسائل الإعلام في البناء الاتصالي لأحداث العنف.

وفي نظم الاتصال، فان كل فرد يعمل بشكل تلقائي، ولكن في ارتباط بالنظام الاجتماعي ككل، ويتأثر ببقية الأفراد والمؤسسات في هذا النظام، وهو في الوقت ذاته يمارس تأثيرا على بقية الأفراد والمؤسسات. لذا فان التغير في جزء من النظام الاجتماعي يؤثر على بقية الأجزاء، والاتصال هو الذي يحث هذه العملية، وعملية الاتصال مستمرة فضلا عن كونها ديناميكية، لان المشاركين فيها يتبادلون الوظائف، ويصف ديفيد بيرلو تدفق نموذج الاتصال بقوله: «إذا فهمنا الاتصال كعملية فإننا سنرى الأحداث والعلاقات بشكل ديناميكي، متغير ومستمر، ليس له بدء أو انتهاء أو مسار محدد للاحداث، اجزاء الاتصال تتفاعل وكل يؤثر في الآخر»[١٩].

وعندما تحدث تغطية صحفية أو إعلامية شاملة لأحداث العنف السياسي يقوم الاتصال هنا بتأسيس تيار معقد من الاتصال يشتمل على تدفق أحادي الاتجاه، وثنائي الاتجاه، إذ تنتقل المعلومات التي تبثها وسائل الإعلام إلى كل جمهورها المستهدف من عامة الشعب، والجماعة التي كانت طرفا في أحداث العنف والأزمة، والجماعات الأخرى المؤيدة لها أو المعارضة، والى الحكومة المستهدفة والحكومات الأخرى. كما تستقبل وسائل الإعلام معلومات من كافة هذه الأطراف، وتعيد بثها لكل الأطراف مرة أخرى، وهذا يعني أن وسائل الإعلام تعمل كمضخة تحتل موقع القلب في نموذج الاتصال، توزع المعلومات على أجزائه، وتتحكم في كم ونوع الاتصال الذي يجري داخل كل جزء من أجزاء النموذج، والذي على أساسه تنتقل المعلومات مرة أخرى إلى وسائل الإعلام لتستمر العملية بشكل ديناميكي متدفق، وتدفق الاتصال حال التغطية الإعلامية يظهر جليا في النموذج الذي اقترحه روبرت بيكارد[٢٠].

ففي حالة الحكومات التي تسيطر على وسائل الإعلام، وتتحكم في الرسالة الإعلامية، فان اتصالا يحدث بين الحكومة المستهدفة وأداتها الإعلامية قبل أن تنتقل الرسالة إلى عامة الشعب، وجماعة العنف أو طرف الأزمة المؤثرة في العنف، والجماعات الأخرى، والحكومات الأخرى، وهذه هي الخطوة التي يحدث فيها التأثير على الرسالة من حيث المحتوى الطريقة التي يقدم بها، فيتم صياغة أفكار الحكومة المستهدفة، التي تهون أو تهول من الحادث لتحفظ هيبتها أو لتكسب تعاطف عامة الشعب في معركتها مع الطرف الآخر للازمة، كما ثبت وسائل الإعلام المتعاطفة أو المؤيدة لهذا الطرف المعلومات التي تحجبها وسائل الإعلام الرسمية، فضلا عن تقديمها لأخبار العنف الرسمي (الحكومي) الذي تحجم وسائل الإعلام الحكومية أو التي تسيطر عليها الدولة عن بثها.

ويرى بيكارد Picard أن هناك أربع معالجات أساسية يستخدمها الإعلاميون وتؤثر في المعنى، الذي يستخلصه الجمهور من أحداث الأزمة وبصورة خاصة أحداث العنف السياسي:

الأولى: هي معالجة المعلومات التي تؤكد حقائق الواقع المنقولة على لسان المصادر والوثائق، وعندما يستخدم هذا المدخل، فان نقلا هادئا نزيها يوصل المعلومات للجمهور، وتوجد هذه المعالجة في التغطية المبدئية لأخبار العنف السياسي.

الثانية: هي معالجة الإثارة، وتستخدم المادة الإعلامية بشكل يؤكد التحذير والتهديد والغضب والخوف والتحريض والإثارة، وهذا النوع من تقديم الأخبار (نشرا أو بثا) يفيد كثيرا في تحرير أخبار الصراعات، لان الأمر اقرب لتوليد ردود الأفعال العاطفية، ويحتوي على عناصر درامية ملازمة يمكن

أن تكتب بشكل مثير.
الثالثة: هي معالجة القصة الخبرية الإنسانية Feature، والتي تنطوي على رمزية كبيرة، فغالبا ما تركز على الأفراد بصفتهم أبطالا أو أشرارا، ضحايا أو مجرمين، وفي تحرير مثل هذا النوع من التقارير عن العنف، فان أشكال القصص الإنسانية تأخذ معان عدة، فيمكن إظهار الناس على أنهم رهائن في يد الإرهاب أو تقديمهم على أنهم امة مكبوتة تقوم جماعة معينة باستعادة حقوقهم السليبة من النظام الباطش.
الرابعة: تتبنى مدخلا تفسيريا تركز على الإجابة عن تساؤلات مثل كيف ولماذا تجري أحداث العنف السياسي على هذا النحو؟، وتقع التغطية الصحفية عن جماعات العنف وتكتيكاتها، وأسباب تبنيها العنف، والإثارة المترتبة على ذلك، وموقف السلطة إزائها في هذا النوع[٢١].
وعندما تستخدم أي من هذه المعالجات، فأنها تساعد على تحديد المعنى المنقول على الأحداث، فالتغطية الإخبارية الهادئة النزيهة سينتج عنها استجابة انفعالية اقل، وخوف اقل، والقارئ أو المشاهد يضع أحداث العنف وأزماته في حجمها الطبيعي، ومدخل الإثارة سيزيد توزيع الصحف، ويرفع نسبة المشاهدة للتلفزيون، كما سيزيد الخوف والفزع بين الناس.
ويلعب الشكل دورا أساسيا في التأثير على القراء أو المشاهدين ففي الوسائل الإعلامية المطبوعة (الجرائد والمجلات)، فان المساحة التي يشغلها الموضوع، والصور المصاحبة له وعددها بل ومضمونها، وكذلك ضخامة حجم العناوين تزيد من التأثيرات الإدراكية الحسية، لاسيما إذا جاءت مع معالجات تتسم بالإثارة أو بمعالجة القصص الإخبارية الإنسانية، وبالنسبة للوسائل المرئية والمسموعة، فان وقت الإذاعة يلعب دورا مهما في زيادة التأثير على المشاهدين والمستمعين، وكذلك طرق نسج المواد الإخبارية (النشرات- الموجز- أهم الإنباء) بين المواد الإذاعية والتلفزيونية الأخرى[٢٢].

أخلاقية وسائل الإعلام في أوقات الأزمات

تكاد القضايا أو الأسئلة الأخلاقية للممارسة الصحفية في أوقات الأزمات والحروب تتشابه وتتكرر باستمرار بغض النظر عن مكان وزمان وأطراف تلك الأزمات والحروب . مما يدعو لطرح جملة أسئلة أخلاقية أساسية عن العمل الصحفي في هكذا فترات مثل :
-هل تسعى الصحف إلى نشر صور القتلى ؟
-هل تقدم أحزان ومشاعر الأسر والأفراد الذين فقدوا أحبائهم في الحرب ؟
-هل يعمل الصحفي من جانب العدو وما هي النسبية التي يراها في نظرته للعدو أو الصديق ؟

-هل يتجاوز الصحفي الممنوعات التي تضعها القوات العسكرية في مناطق الحرب [٢٣]؟
ويناقش كيفن وليامز Kevin Williams فكرة ان وسائل الاعلام تنتقل الى صناعة (الحقيقة المتخيلة او الروحية) عن الحرب في حين ان عملها في الغالب الاعم وفي الاوقات والاحداث العادية يرتبط بحقيقة الواقع الخارجي (truth of external reality) . هذا الفرق بين النوعين من الحقائق يعكس مستوى التورط الذي تقع فيه وسائل الإعلام في فترات الحروب والأزمات .
حيث تتم مراقبتها والسيطرة عليها من اجل صناعة الحقيقة وليس نقلها . ومن العوائق التي

تحول دائما بين وسائل الإعلام ونقل الحقيقة عن الأزمات والحروب إلى الجمهور : الرقابة الذاتية والمؤسسية ، والالتزام السياسي ، والواجب الوطني ، وظروف العمل الروتيني في وسائل الإعلام.

وعن الرقابة في فترات الحروب والأزمات يقول وليامز :((إن تاريخ الرقابة يشير إلى أنها استخدمت لبيع أو ترويج الحروب للجمهور وصيانة وتعزيز أسباب وظروف تلك الحروب بوسائل غير نزيهة. لقد استخدمت الرقابة لاخفاء عجز وعدم فعالية القوات العسكرية بسبب الخسائر في الافراد والعاملين في تلك القوات ، فالرقابة غطت على الضحايا الكبيرة والوحشية االتي تمارسها قواتنا على الاخرين))[٢٤].

وبسبب الرقابة والتحكم في صياغة الحقائق عن الحرب والواجب الوطني والالتزام السياسي ، كان الكذب) بشان أعداد الضحايا وحجم الخسائر من المدنيين والعسكريين إستراتيجية قديمة ومستمرة منذ الحرب العالمية الأولى وصولاً إلى حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ - ١٩٩١ وحرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ [٢٥] وليس انتهاء بموضوع بحثنا هذا وما تردد في وسائل الإعلام من تباين في التغطية الصحفية بين تعتيم أو تهويل في حجم الخسائر والضحايا بين الأطراف المتقاتلة في اليمن .

وتطرح هذه الظروف التي تعيشها وسائل الإعلام في فترات الأزمات والحروب أسئلة مهمة عن طبيعة القرار الأخلاقي الذي يتحتم عليها اتخاذه ، كما تطرح أسئلة أخرى تتعلق بوجود مواثيق أخلاقية للعمل الإعلامي ومستوى الوعي بها وقوة تأثيرها على الصحفيين أو التمسك بها ، فضلا عن مستوى استقلال تلك المواثيق عن غيرها من القوانين المؤسسية للعمل الإعلامي .[٢٦]

وتجدر الإشارة إلى أن إحدى مسؤوليات وسائل الإعلام نحو المجتمع يكمن في حماية حق الجمهور بالحصول على المعلومات والعرض المتوازن لآراء الأطراف المختلفة كشرطين أساسيين في تغطية الحروب والأزمات وفيما يتعلق بالمسؤولية الإنسانية لوسائل الإعلام ، فيمكن التركيز على بعض الشروط الأخلاقية التي ينبغي على وسائل الإعلام الالتزام بها قبل وأثناء فترات الحروب والأزمات ، ومن تلك الشروط - على سبيل المثال لا الحصر - تدعيم السلام والتفاهم الدولي والامتناع عن الدعوة إلى الحرب أو تبريرها[٢٧] .

هوامش البحث

. محمد شومان . إشكاليات في مسار تطور إعلام الأزمات والكوارث . المجلة المصرية لبحوث الرأي العام . كلية الإعلام . جامعة القاهرة . العدد الثالث . يوليو سبتمبر ٢٠٠١م . ص١٥٠ .

٢ . المصدر نفسه

٣ . محمد شومان . الإعلام والأزمات: مدخل نظري وممارسة عملية . دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع . القاهرة . ٢٠٠٢م . ص١٢٨ .

(٤) د. محسن احمد الخضيري، ادارة الازمات، م.س.ذ، ١٢٢- ١٢٣.

٥ . Gitlin, t . ١٩٨٠ the whole world is watching, mass media and the making and unmaking of the new left. Berkeley: university of California press.

٦ . Entman, r. m . ١٩٩١ framing u. s. coverage of international news :contrasts in narratives of the kal and iran air incidents . journal of communication p . ٦ - ٢٧ . (٤)٤١ .

٧ . Tuersky . a. and kahneman , d . ١٩٨٢ the framing of decisions and the psychology of choice . in r . m . Hogarth . question framing and response consistency p. p san ٢٠ -٣ . Francisco : jossey - bass.

٨ . correlation hypothesis: ratings , rankings , and the measurement of values , public opinion quarterly , ٥٢, ٥٢٥- ٥٣٨ .

٩ . Rothman , a. j . salovey , p , antone , c . keough , k, and marein , c. d . ١٩٩٣ . the influence of message farming on intentions to perform health behaviors. Journal of experimental and social psychology ٢٩ , ٤٠٨- ٤٣٣.

(١٠) . د. معتز محي عبد الحميد، افاق ستراتيجية: الشفافية في التغطية الاعلامية للازمات، بحث منشور على النت.

(١١) .د. محمود شريف . استاذ الاعلام ووكيل كلية الاعلام، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، محاضرة القاها في دورة «تغطية الحروب والصراعات» التي اقامها اتحاد الصحافة الخليجية بالتعاون مع جمعية الصحفيين الكويتية.

(١٢) . د. محمود شريف، المصدر السابق.

(١٣) . نقلا عن ستيوارات الان، ثقافة الاخبار، م . س . ذ . ص١٤١.

(١٤) . سيتوارت الان- م. س. ذ . ص٣١٨.

(١٥) . راجع: د. محمد حسام الدين، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، م.س.ذ، ص٢٥٠.

(١٦) Robert Picard, Media portrayals of terrorism: Functions and meaning of News. coverage, (Lowa: Lowa university press, ١٩٩٣), P. ٢٤.

(١٧) انظر: الفصل الثالث من الدراسة.

(١٨) Robert Picard, Media portrayals of terrorism: Functions and meaning of News . coverage, (Lowa: Lowa university press, ١٩٩٣), P. ٣٠.

(١٩). Niel. C. Livingstone, the War Against Terrorism, (Lexington: Lexington Books ,١٩٨٢), P. ٣٦.

(٢٠) . جيهان احمد رشتي: الاسس العلمية لنظريات الاعلام (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨)، ص١٤٢.

(٢١).Robert E. Picard, op. cit., P. ٣٥.

(٢٢).Robert Picard, op. cit, PP. ١٠١- ١٠٣.

(٢٣) . د. محمد حسام الدين، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، م.س.ذ، ص٢٢٧.

(٢٤).Williams , Kevin. ١٩٩٢ « something more important than truth : ethical issues in war reporting « in belsey , Andrew and chadwick , ruth ethical issues in journalism and the media . routledge : london and new York . pp ١٥٤ - ١٧٠ .

(٢٥) . المصدر السابق ص ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢٦).Pilger , john, (٢٠٠٤) « the lies of old « in miller , david , tell me lies propaganda and media distortion in the attack on Iraq . Pluto press : London , sterling , and Virginia , pp ١٨ - ٢٢ .

(٢٧) . سليمان صالح ، أخلاقيات الإعلام ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع : الكويت والإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٢ ، ص ص ١٥٠ - ١٥٣ .